واقع المعجم العربي المعاصر
و آفاق المستقبل

د/ حلام الجيلالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي بلعباس / الجزائر

تمهيد

تطرح هذه الدراسة إشكالية / معاجمنا اللغوية العربية المعاصرة، وتسعى إلى معالجة قضية مواكبة المعجم لمستجدات العصر من حيث الرصيد المفرداتي للألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية والتقنيات الفنية المتصلة بالتعريف و الإرشاد المعلوماتي، والأمثلة التوضيحية. و تتمحور حول نقلات ثلاث لمسار أجيال المعجم اللغوي : معجم ابتكاري استهدف أول نشأته جمع اللغة وحفظها من الدثور والتحريف، مبتدعا نظريات طريفة، ومعجم تقليدي استثمر لاحقا في حصر اللسان وتفسيره لفهم التراث، ومعجم تجديدي أصبح اليوم أداة عمل لتحقيق

البحث وتسهيل التواصل، وشتان بين صيانة اللسان وحصره والعمل به من أجل صناعة الخطاب التقني لمواكبة الثورة العلمية والمعلوماتية.

نعتقد أن أهم ما يعمل على تشكيل العقل البشري –ونحن نلج فضاء الألفية الثالثة، ونظام العولمة – هو بروز أشكال التواصل المعلوماتي الذي بلورته اللسانيات المعاصرة. ولا مندوحة من أن التنمية اللغوية ترتبط ارتباطا وثيقا بالتنمية الوطنية الشاملة، وهي عملية واعية تهدف أساسا إلى أحداث ترقية لغوية تواكب التحولات التواصلية الطارئة في جميع المجالات الحيوية لأي مجتمع من المجتمعات.

وإذا كان تطور اللغة ظاهرة طبيعية، ورقيها يتأتى بجهود أبنائها؛ فإن مناط الصراع المتمظهر بين اللغات العالمية، إنما هو صراع على القيم الحضارية المتصلة باللسان القومي، وأكثر ما يتجلى هذا الصراع في قضايا المعجم، باعتباره ديوانا لأساسيات المعارف ومفردات العلوم في اللسان الرسمي، وأداة للتوصيل، ومفتاحا للمعلوماتية، في اللسان الرسمي؛ وبخاصة ونحن نخطو على عتبات عصر ينقلنا من المعجم الورقي إلى المعجم الحاسوبي وإذا نحن (لم نطوع الحاسوب لإدخال لاستعمال اللغة العربية في كل طبقاته، فسنضيف إلى التبعية الاقتصادية تبعية ثقافية تهمش لغتنا) (1).

وتتأكد أهمية المعجم م منظور الحصيلة المفرداتية التي تمثل الوحدات الأساسية في تشكيل اللغة. ومن الثابت أن كل ما أبدعه الإنسان من مظاهر حضارية في الآداب والعلوم والفنون والمعارف

المختلفة، تكاد تعود أسبابه إلى ما يتمتع به الإنسان من قدرات لغوية، فهي أساس التواصل بين الأجيال ونقال المآثر ووسيلة التعبير ومناط الفكر والإبداع، حتى وكأن الحضـــارة هي اللغة! ومن النتائج المحققة في البحوث اللغوية، أن محاولة الوصـــول إلى معرفة ما توصـــلت إليه أمـة من الأمم في مجـال العلمي والعطـاء الفكري، والأدبي والفني أو الحضاري عامة، يكون بالوقوف على مفردات معاجمها في لغتها الأم.

ولا شـك في أن العلاقة بين مسـتويات اللغة والعلميات العقلية : الإدراك والتفكير والـذكـاء.. وغيرهـا تتجـاوز كونهـا تعبيرا عن التجـارب اللغوية والحســية لأنواع المفاهيم والمعارف والخبرات، لتصـــبح علاقة تكامل طردية بين هذه المســتويات اللغوية والقدرات العقلية بحيث كلما نمت وتطورت لغة الإنســان وزادت حصـيلته المفرداتية، ارتفعت قدراته العقلية، واتسع نطاق تفكيره الإبداعي ونما معدل ذكائه.

وقد عبر علماء الغرب عن هذه الظاهرة بنظرية الحتمة اللغوية، كمـا جـاء على لســـان الفيلســـوف الألمـاني ولهـام همبولـت W/HUMBOLDT(1767-1835)، وبعده اللغوي الأمريكي إدوارد سابير E.SAPIR سنة 1929 ، حيث ترى النظرية أن الناس إنما هم تبع في تفكيرهم وإحسـاسـهم ومشـاعرهم ونظرتهم إلى الكون وللعادات التي اكتسبوها من خلال ممارستهم للغة قومه "(1)

مسار أجيال المعاجم العربية :

1-الجيل الأول / المعاجم الإبتكارية :

وتعد معاجم هذه المرحلة التي تبتدئ بظهور أول معجم لغوي شامل المرجع الأساس للسان العربي الفصيح حتى قبيل نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

وقد سار الرصيد اللغوي لهذه المرحلة طبيعيا وخضع لسنة التطور والنمو منذ العصر الجاهلي، واستجاب لأكثر مستجدات العصر الإسلامي في الألفاظ والدلالات المولدة غالبا (19) كما تميزت هذه المرحلة بعدة خصائص نجملها فيما يأتي:

أ- اكتمال النظريات والمناهج العاجمية المبتكرة في الجمع والترتيب والتعريف وبخاصة، مثل : نظرية العين الصوتية الحصرية للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) التي حاول فيها حصر الطاقة التوليدية للغة للوقوف على ما يمكن تشكيله من ألفاظ وكلمات في حدود الحروف الهجائية العربية، حسب نظرية التوافق والتباديل في الرياضيات، مع تمييز المهمل والمستعمل والمعرب والدخيل عن طريق الائتلاف الصوتي قبل السماع أو الرواية غالبا. ونظرية جمهرة اللغة لابن در يد (ت321 هـ) التي تقوم على مبدأ إثبات الشائع المستعمل من اللغة أو ما يعبر عنه بالآني المستقر (synchronique) وأبعاد المهجور والحوشي والغريب. ونظرية صحاح اللغة أو ما يعبر للأزهري (ت 370 هـ)؛ وهي نظرية معيارية تقوم فكرتها على أساس أن اللسان العربي قد اكتمل في نموه ونطوره، فيجب الالتزام بما صح عن العرب وإغلاق باب الوضع والتوليد والاجتهاد. و نظرية المقاييس التأصيلية التاثيلية لأحمد بن فارس (ت 395 هـ)، التي تسعى إلى استنباط

الأصـــول المعنوية لجذور الكلمات وما يتفرع عنها من دلالات تعود بالضرورة إلى الأصل العربي الأول.

ب- التنافس على رواية اللغة وجمع مفرداتها مع التأكيد على الصحة والضبط والتوثيق كما ظهر ذلك في أسماء معاجمهم (الصحاح، التهذيب، المحكم، المقاييس...الخ)

جـ- الوقوف باللغة في حدود زمانية لا تتجاوز المائة الثانية من الهجرة لعرب الأمصـــار، وآخر المائة الرابعة لعرب البوادي، وحدود مكانية لا تتعدى شبه الجزيرة العربية.(20)

د- كما تميزت بعدد من النقائص نذكر منها :

1- صـعوبة ترتيب المداخل والمشـتقات والدلالات، وانعدام الاحالات.

2- وجود ثغرات في المواد اللغوية وبخاصـــة ما استجد في الحصيلة المفرداتية.

3- تضـــخيم الثروة المفرداتية نتيجة تســـجيل المهمل إلى جانب المستعمل.

4- قصـــور التعاريف والشـــروح، وندرة الأمثلة التوضيحية من سياقات وشواهد.

5- إهمال اللغة الوظيفية والجانب الإســـتعمالي والبيداغوجي للمعجم بما في ذلك المعرب والدخيل والمولد. نتيجة تركيزها على الوجهة المعبارية للغة والجري وراء البحث عن الصحة فيما جاء عن العرب القدماء من اللسان الفصيح.

6- كثرة التوثيق والشواهد التي تؤكد صحة اللغة لا تعريفها.

2- الجيل الثاني / المعاجم التقليدية :

وتشمل هذه المرحلة مسافة زمانية طويلة تبتدئ بالقرن الخامس الهجري، وتمتد إلى نهاية القرن الثاني عشر تقريبا مع الزبيدي (1205 هـ) في معجمه تاج العروس، بل ويمكن تمديدها إلى بداية القرن العشرين الميلادي مع سعيد الشرتوني (1849-1919 في معجمه أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، وقد تميزت هذه المرحلة بركود الابتكار المعجمي وتقليد القدماء فالتزم اغلب المعاجميين بالنظريات والمناهج والمصادر القديمة التي لا تواكب التطورات الحضارية، وما لذلك من أثر في الرصيد اللغوي من حيث التغير الدلالي وزيادة المواليد، وبذلك تأخر المعجم العربي (عدة قرون عن النهضة المعجمية الحديثة)(21)، وضيّعوا على المعجم العربي الكثير من الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية المبتكرة وما تميزت به العصور العربية من مظاهر الحضارة الجديدة، حتى أصبحت مصطلحات لغوية أو علمية من مثل (الزاوية، الجبر، المقابلة، الحجم، معادلة، مساحة... وغيرها من المصطلحات الرياضية التي استعملها الخوارزمي (235 هـ) صاحب كتاب الجبر المقابلة في القرن الثالث الهجري، لا يجرؤ صاحب لسان العرب الذي عاش في القرن الثامن الهجري، ولا صحاب تاج العروس الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري أن يسجّلها ! فيظل لفظ مثل (الجبر) كلّ هذه القرون خارج المعجم

العربي، في حين نجد المصـــطلح نفســـه يدخل مجال الاســـتعمال في أوروبا في القرن العاشر تقريبا (22).

وتتميز معاجم هذه المرحلة بالخصائص التالية :

أ- الحرص على جمع اللغة من المعاجم القديمة المختلفة دون تجاوزها والتنافس على جمع أكبر عدد من الألفاظ فبلغ بها الفيروزابادي إلى 60 ألف مدخل وإبن منظور إلى 80 ألف مدخل والزبيدي إلى 120 ألف مدخل. ولعل ما ينمّ عن هدفهم الاستقصائي للمفردات، أسماء مؤلفاتهم (لسان العرب – العباب – القاموس – تاج العروس... الخ).

ب- الوقوف باللغة عند الحدود الاحتجاجية التي التزم بها القدماء، فأهملوا المولدات من الألفاظ والدلالات المستحدثة، وبذلك دخلت المعاجم في فترة (صار اللاحق يقلد فيها الســابق، ولم تعد المادة المعجمية مادة يجمعها اللغويون من الناطقين بها بلسانهم) (23) في العصور اللاحقة.

جـــ- صعوبة الترتيب وبخاصة الترتيب الداخلي وحشو المعاجم بالإعلام وبالقصص والأساطير والاستطرادات غير اللغوية مما ضخم حجمها.

د- يضاف إلى هذه الخصائص جملة النقائص مثل : قصور التعريف، وقلة الأمثلة التوضيحية من سياقات وشواهد مقيدة ورسوم توضيحية، وإهمال الجانب التعليمي.

3- الجيل الثالث / المعاجم التجديدية :

تعتبر بداية القرنين الرابع عشـــر الهجري والعشـــرين الميلادي ميقاتا في الوطن العربي علة عدة أصعدة ضمنها خوض تجربة تجديد المعاجم اللغوية، وقد جاء ذلك نتيجة ضرورات حضارية علمية وتربوية دعت بإلحاح إلى ســـلوك طريقة عملية في تأليف المعاجم لمســـايرة التطور اللغوي والعلمي وســـد حاجة الباحث العربي من الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية والتعريفات الدقيقة.

وإذا كان المجال لا يسمح في هذا الصدد بذكر أهم الضرورات والأسباب والدواعي التي طرحت قضية تجديد المعجم العربي مثل التعليم المبرمج وظهور الطباعة ونشوء المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية، فإن مثل هذه الدواعي وغيرها كانت كفيلة بالإعلان عن انطلاق محاولات تجديد المعجمية العربية، وهي انطلاقة ســـارت اتجاه تراثي تقليدي : لم يســتطع التخلص من أســر النظرة التقليدية إلى اللغة في بعدها المعياري وتقديس التراث، إلى درجة عدم الجرأة على الحذف منه أو الزيادة عليه أو التصرف في ضبط دلالات ألفاظه، وقد ظل أصحاب هذا الاتجاه متمســـكين بالمعاجم التراثية باعتبارها الحصـــيلة اللغوية الأصـــيلة التي لا يجوز تجاوزها، وقد ظهر في هذا المنحى عدد من المعاجم حاول مؤلفوها نفض الغبار عن التراث المعاجمي وبعثه في معاجم حديثة، تواكب العصر وتجيب المستهلك العربي – تلميذا وطالبا وباحثا – في أقصر وقت وبأقل جهد، عما يعترضه من تساؤلات لغوية وعلمية وثقافية.

ومن بين معاجم الجيل الثالث التي تنتمي إلى هذه المرحلة : محيط المحيط لبطرس البستاني، صدرت طبعته سنة 1870م، وسعى فيه إلى تجديد القاموس المحيط، ثم ظهر أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لسعيد الخوري الشرتوني الذي نوع في مصادره و كاد يأتي على جميع الأمهات من المعاجم العربية، محاولا الدقة في ترتيب المداخل مشيرا إلى قصور التعاريف في المعاجم القديمة وبخاصة في الأشياء والنبات والحيوان، ليسنّ بذلك طريقة جديدة في الجمع والترتيب و التعريف.

ومن أهم معاجم هذا الاتجاه : معجم (متن اللغة) للشيخ أحمد رضا الذي صدر في خمسة أجزاء سنة 1377هـ – 1958م بتكليف من المجمع اللغوي السوري.

ويتميز هذا المعجم بغلبة النظرة التراثية؛ حيث أن صاحبه استقى مادته من المعاجم العربية القديمة المشهورة، وكان يهدف بالدرجة الأولى إلى جمع أكبر قدر ممكن من المادة اللغوية المقيدة في التراث العربي القديم دون التمييز بين الوظيفي والمهجور، إذ يصرّح في مقدمة المعجم قائلا :

(حرصت على أن لا تفوت كتابي هذه مادة ذكرت في لسان العرب وتاج العروس، وهما أكثر كتب الأئمة المعروفة لدينا جمعا لمواد اللغة، فكان كتابي هذا جامعا لكل ما يمكن أن يطلبه طالب اللغة، فلا تمرّ به كلمة من كلماتهم إلا ويكون لها تفسير فيه).(24) وهذا يعني أنه لم يراع انتقاء المادة اللغوية الوظيفية وإهمال تلك التي هجرها الاستعمال،

وإن وجدناه يضيف بعض الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية التي أقرتها المجامع اللغوية آنذاك، بالإضافة إلى ما اقترحه المؤلف نفسه.

وقد طيّق المؤلف أهمّ التقنيات التي توصلت إليها المعجمية في جمع الرصيد المفرداتي القديم بخاصة، وترتيب المداخل، أما من حيث التعريف فلم يحاول صاحب المعجم أن يستعين بأي منهج حديث، واكتفى بالتعريف الاسمي على غرار من سبقه، فجاءت أكثر التعارف مبهمة يغلب عليها الشرح الدوري والترادفي، مثل (الشطاط : طائر) – (أشطنة – أبعده) (الشقر : الديك – الكذب) (25).

وأما الأمثلة التوضيحية، فإن المؤلف لم يعتدّ بالسياقات الوظيفية ولا بالشواهد المقيدة، كما أن الصور التوضيحية المثبتة لا تفي بالغرض؛ نظرا لقلّتها وعدم وضوحها.

ونخلص من هذه التوضيحات إلى أن صاحب معجم (متن اللغة) لم يتمكن من التوفيق بين التراث والحداثة؛ فجاء معجمه تراثيا تقليديا لا يفي بحاجة الباحث العربي المعاصر، نتيجة التزامه بما وضعه القدماء من قيود تتصل بجمع المادة وتعريف المجداخل.

4- الجيل الرابع /المعاجم المعاصرة:

وقد سار هذا الجيل من المعاجم في اتجاه تراثي حداثي، حاول في ضوئه أن يوفق بين التراث والحداثة، فنظر إلى اللغة نظرة وصفية في ضوء نظريات علم اللغة الحديث، مع مراعاة الفروق و الاختلافات الموجودة بين اللغة العربية واللغات الأجنبية من حيث التأثيل والاشتقاق والإعراب.

وفي ضـوء هذه النظرة اسـتطاعت معاجم هذا الاتجاه أن تكسـر قيود العصـــور الاحتجاجية للغة/ الزمانية والمكانية، وتبيح الاعتداد بالألفاظ المولدة والمحدثة والمعربة والدخيلة، بهدف ســـدّ الحاجات العلمية للباحث والطالب. كما حرصـت على اسـتثمار الوجهة التعليمية من حيث انتقاء الرصـــيد المفرداتي الوظيفي، والاســـتعانة بالأمثلة التوضـيحية في تعريف المداخل (السـياقات والشـواهد المقيدة والصـور والرســـوم التوضـــيحية)، وهذا دون تجاوز مقاييس العربية من أجل المحافظة على سلامتها وتطويرها.

وقد ظهرت في هذا الاتجاه الوصـــفي المعاصـــر، كوكبة من المعاجم اللغويـة التي تمثل الجيل الرابع في مســـار المعجم العربي، وتجسـد واقعه اليوم، من أهمها: المنجد في اللغة والإعلام ومعجم اللغة العربية وغيرها، نقدم فيما يلي قراءة لأهم عناصـر معجمين منها هما / المعجم الوســـيط لمجمع اللغة العربية، والمعجم العربي الأســـاســـي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

أ- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية :

وهو معجم لغوي موجـه إلى المثقف الاعتيـادي في الوطن العربي، ظهرت طبعتـه الأولى عن مجمع اللغة العربية في القاهرة ســـنة 1961/1960م في جزئين كبيرين، أشـــرف على طبعتـه عبر الســـلام هارون ولجنة من الباحثين العرب/ إبراهيم مصـــطفى وأحمد حســـن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي

النجّار، ثم ظهرت طبعته الثانية المنقحة سنة 1972م. ويحتوي المعجم على 1067 صفحة من ثلاثة أعمدة ويشتمل على نحو 46600 مدخل و 847 صورة وشكل توضيحي.

ويعتبر الوسيط أول معجم يصدر عن هيئة مختصة وتأليف جماعي، ويمتثل لعدة قرارات مجمعية تنصّ على خدمة اللغة العربية والحفاظ على سلامتها وجعلها وافية بمطالب العصر، وقد استطاع المعجم الوسيط في إطار ما أقره المجمع من قرارات أن يوفّق – إلى قدر كبير – بين التراث والحداثة على مستوى عناصر المعجم، فكان من بين القرارات التي تبنّاها على مستوى جمع المادة /(29)

- فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة؛ من اشتقاق وتجوز وارتجال.

– تحرير السماع من قيود الزمان والمكان.

- إطلاق القياس؛ ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس.

- الاعتداد بالألفاظ المولّدة، وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء.

- فكان لهذا الاتجاه في جمع الرصيد المفرداتي تحولا في مسار المعاجمية العربية من النظرة المعيارية، إلى الوصفية التي تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية قابلة للنمو والتغير والتجديد؛ ويذلك فتح باب الوضع ليثري المعجم بآلاف الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية التي تلبّي حاجة القارئ العربي المعاصر.

ومع ذلك لم يتمكّن المعجم من سـدّ كثير من الثغرات المفرداتية، بسـبب عدم اعتماده نظرية الحقول الدلالية في حصـر الألفاظ الحضـارية والمصـطلحات العلمية الوظيفة. كما أنه عمد إلى الأخذ من اللهجة المصـرية دون سـواها من اللّهجات العربية، حتى وإن كانت بعض اللّهجات العربية الأخرى أقرب إلى الفصحى منها.

- وعلى مسـتوى تعريف المداخل حاول المزاوجة بين التعريفيين الاسمي والمنطقي؛ إلا أنه غلّب جانب التعريف الاسمي؛ فجاءت كثير من التعاريف قاصرة. أمّا من حيث الأمثلة التوضيحية، فأتخذ السـياق والشـواهد المقيّدة التي جاءت قليلة، ولا تتوزّع على كلّ العصـور الأدبية. واسـتعان ببعض الصـور والرسـوم التوضـيحية إلا أنها لم نؤد هدفها لقلتها وعدم وضـوحها وكثرة الأخطاء بها؛ فكثيرا ما تظهر الصـورة مخالفة للتعريف كما في (الضـب، القطاة، الحرباء القدمة... وغيرها). ويضاف إلى هذه المآخذ، إهمال قضايا التـأثيل والتـأريخ للمفردات والـدلالات ممـا أدّى إلى تـداخل بعض الجـذور العربيـة بـالجـذور المعرّبـة والـدخيلـة، مثلا، وجود المدخل(غرام) ذي الأثل الأجنبي بمعنى وحدة الوزن في الأسـرة الاشتقاقية للجذر العربي الأثيل (غرم)(30).

د- المعجم العربي الأساسي :

وهو قاموس شـبه موسـوعي يشـمل اللغة إلى جانب الأعلام، شـارك في وضـعه جماعة من اللغويين المختصـين في العالم العربي (33) تحت إشـراف المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، صـدرت

طبعته الأولى عن مطبعه (لاروس) سـنة 1989 م، في جزء واحد من القطع المتوسط في 1384 صفحة، ويشتمل على نحو 25 ألف مدخل بما فيها اللغة والأعلام مرتبة ترتيبا ألفبائيا انطلاقا من جذر الكلمة وفق نظرية المداخل المفقرة.

ويميّز بأنه قاموس وظيفي شبه موسوعي موجّه لغير الناطقين بالعربية ومتعلميها وعامة المثقفين من العرب والمستعرين (34). كما يعدّ محاولة جماعية تستند إلى هيئة عربية وتسعى إلى إثبات اللسان العربي الوظيفي المعاصر.

وقد أخذ المعجم – في مجال جمع الرصيد المفرداتي – بنظرية الشيوع الاستعمالي للمفردات وإهمال الكلمات التي هجرها الاستعمال. وعلى الرغم من أن الحصيلة اللغوية كانت ضئيلة، وبها كثير من الثغرات، إلا أنه قد استطاع-إلى حد ما- أن يحافظ على الرصيد العربي الوظيفي بنسبة كبيرة، وحاولت لجنة المعجم أن تربطه بالنظام اللساني فصدّرته بمقدمة صرفية نحوية كما خصّت الحروف الهجائية بدراسة صوتية ضمن المداخل.

أما التعريف فلم تسلك فيه اللجنة منهجا محددا، رغم استعانتها بجملة من المناهج (المنطقي والبنيوي والسيمي...)، إلا أنها غلّبت التعريف الاسمي مما أدّى إلى القصور في الشرح كما هو الشأن في المعاجم العربية الحديثة والمعاصرة عامة، وذهب المعجم في الشرح إلى الاختصار فلم يذكر كل المعاني المكررة للمدخل الواحد بل أشار إلى بعضها بأرقام متسلسلة. وأتخذ المعجم من وسائل التعريف / السياق

المأخوذ من الواقع الإستعمالي والشاهد المقيد من قرآن وحديث ومثال وشعر، في حدود ضيقة. ولم يستعن بالصور والرسوم التوضيحية.

ومن المآخذ التي يمكن أن توجه إلى هذا المعجم كثرة الثغرات في الرصيد المفرداتي المعجم بسبب هدفه الموجه إلى غير الناطقين بالعربية، مع أن الهدف البيداغوجي يقتضي أن يكون شاملا للحصيلة اللغوية الوظيفية عامة دون النظر إلى الهدف الخاص. كما أن التعاريف جاء بعضها قاصرا وموجزا من حيث الشرح وبخاصة ما تعلق بالأعلام والآثار. و من ذلك أيضا إهمال التأثيل والتأريخ للألفاظ والدلالات ومجالات الاستعمال ومستوياته.

معاجمنا وآفاق المستقبل :

إن القراءة السابقة تشخص لنا واقع المعجم العربي اليوم، وتؤكّد في الوقت ذاته أن المعاجم العربية المعاصرة من الجيل الرابع، وبخاصة المعاجم ذات التأليف الجامعي، قد استطاعت فعلا- في بعض جوانبها – أن توفّق بين التراث والحداثة، وتتغلّب عبر مسيرتها التطورية على كثير من النقائص الموضوعية والتقنية، بيد أن القصور ظلّ يلازم بعض عناصرها، وهي تسعى جاهدة من أجل الوصول إلى معجم لغوي وظيفي، بواكب العصر ويمد القارئ بكل ما يحتاج إليه من ألفاظ حضارية ومصطلحات علمية، مرتّبة ترتيبا عمليا مشفوعا بالإحالات، ومعرّفة تعريفا دقيقا ومعاصرا، موضّحا بالسياقات والشواهد المقيدة والصور والرسوم التوضيحية، دون إغفال مسألتي التأثيل والتأريخ للألفاظ والدلالات.

وذلك مطلب بيداغوجي ممكن التحقيق في ظلّ مشـــروع علمي هادف، يخضع إلى منهجية مدروسة، ويتولّى مهامه فريق متخصّص، بعدما مهّدت المعاجم الحاسوبية طرائق الأعداد، ويسّرت سبل البحث، وفتحت آفاق مستقل المعجم العربي للسان المعاصر.

ولعل أهم المآخذ التي يمكن تفاديها مستقبلا هي :

1-وجود ثغرات مفرداتية ودلالية في الرصيد اللغوي المعجم، وقد عمق هذه الثغرات التطور الســـريع الذي يشـــهده العالم في جميع المجالات العلمية والثقافية والمعلوماتية، وهي قضـية شـعر بها القارئ العربي منذ أوائل القرن العشـرين، حين صـرّح إبراهيم اليازجي المتوفي سـنة 1906 م قائلا. (لو أراد الكاتب أن يصـف باللغة العربية حجرة منامه لم يكد يجد فيها ما يكفيه لهذه المؤونة اليســـيرة)(36)، ومن أمثلة هذا القصـور المفرداتي، أننا لو أخذنا حقل وحدات قياس الأطوال في المعجمين المذكورين آنفا لم نكد نظفر ســـوى ب(50/) أو أقلّ بالنســـبة إلى المعاجم الأجنبية، فالمعجم الوســـيط مثلا، يثبت من بين هذه المداخل (المتر والكيلومتر) في مقابل عشـــرة مداخل في معجم لاروس الفرنســـي وهي (الانغســـتروم – الميكرومتر – المليمتر – الســـنتمتر – الـديســـمتر – المتر – المتر المربع – الـديكـامتر – الهيكتومتر – الكيلومتر)(37)، وفي حقل الأحذية لا يثبت المعجمان المذكوران معا سـوى (5) مداخل بالنظر إلى نوعية التعريف، في مقابل لاروس أو روبير ب7 مداخل (38)، ممـا يِكد وجود ثغرات مفرداتيـة كبيرة وبخاصة في الرصيد الوظكيفي المعاصر.

ويعود سبب وجود هذه الثغرات – حسب اعتقادي – إلى عدم استثمار نظرية الحقول الدلالية في جمع الرصيد المفرداتي بالمقارنة مع رصيد المعاجم الأجنبية وجرد الحصيلة اللغوية الوظيفية في البرامج الدراسية والمجالات المعرفية والفنية والصناعية في المجتمع المعاصر.

2- عدم الحرص على التوفيق بين التراث والحداثة من حيث التمييز بين الرصيد المفرداتي العام والرصيد الوظيفي الخاص، بما في ذلك المهمل والمهجور وشبه المهجور الذي يرتبط بنصوص أدبية أو فكرية تراثية غير مستثمرة في هذا العصر.

3- كثرة التعاريف القاصرة، نتيجة الاكتفاء بتقديم المقابل التقريبي أو المرادف أو الضد في ظل منهج التعريف الاسمي وهو تعريف لا يفي بالغرض في كثير من الحالات ويؤدي إلى التداخل والترادف الوهمي واللفظية (استخدام الكلمات دون معرفة معناها الدقيق) والتراكم اللغوي.

فلو أخذنا مثلا المدخل (سار) لوجدنا المعجم الوسيط يعرفه ب (مشى) (39) وهو تعريف قاصر لأن معنى السير هو (الانتقال من مكان إلى آخر بأرجل حقيقية أو مجازية بإرادة أو بدونها) بينما المشي هو (الانتقال من مكان إلى آخر بأرجل أو أقدام حقيقية بإرادة) حتى يصحّ القول (مشى الرجل والحصان وسار القطار والجبل). ومن ذلك أن الوسط يعرف (الحذاء) بأنه النعل و(النعل) بأنه الحذاء أو الجلد (40) ويعرف الدوري بأنه (العصفور) بينما يعرفه الأساسي بأنه (عصفور غريد جميل الألوان)(41) وهي تعاريف قاصرة ومتداخلة.

ويرجع سبب هذا القصور إلى عدم الأخذ بمناهج التعريف الحديثة مثل التعريف المنطقي والتعريف البنيوي والتعريف السيمي والتوزيعي وغيرها، مع استحضار الحقل المفرداتي للكلمات المراد تعريفها؛ إذ أن (الكلمة لا تكتسب تعريفها إلا عن طريق العلاقات وأوجه التباين التي تكون لها مع بقية الكلمات الأخرى (42). وتوضيحا لقصور التعاريف في المعاجم اللغوية المعاصرة، سواء من حيث دقة المعلومات أم حجمها، نورد النموذجين الآتيين؛ أحدهما من المعجم الوسيط (43) والآخر من المعجم العربي الأساسي (44).

المدخل	التعريف المعجم الوسيط	التعريف المقترح
جورب	لباس الرجل (ج) جوارب. (معرب)	لباس من نسيج يلبس في القدم إلى الساق قبل الحذاء (ج) جوارب.
حذاء	النعل	لباس الرجل خارج البيت لا يتجاوز العرقوب ارتفاعا، بنعل مقاوم، (ج) أحذية

نعل	الحذاء أو الجلد يوقى به الخف (ج) نعال.	1-حذاء خفيف لا يغطي سوى أسفل القدم، به أسيار للشدّ (ج) نعال. 2- قطعة من الجلد أو المطاط أو نحوه، تشكل القسم الأسفل للحذاء. 3- قطعة تقص من الجلد أو الفلين أو القش، توضع داخل الحذاء أسفل الرجل.

المدخل	التعريف في المعجم العربي الأساسي	التعريف المقترح
حسّون	عصفور غرّيد جميل الألوان.	طائر غرّيد من فصيلة الشرشوريات، بـه من الألوان؛ البنّي والأصفر والأبيض والأسود، والجزء الأمامي من الرأس أحمر، يقتنى للتربية في أقفاص، يكثر في منطقة شمال إفريقيا، طوله 12سم، (ج) حسونات / الشوكي.
ابل	الجمال والنوق، مؤنّث لا واحد له من لفظه.	جنس حيوانات مجترّة، من ذوات الخفّ، كبيرة الأجسام، لها سنام أو سنامان على ظهرها، تتحمّل الظمأ مدّة طويلة، ينتفع بها في التنقل عبر الصحاري، ومن لبنها ووبرها ولحومها وجلودها. وهي مؤنث لا واحد له من لفظه/ الجمال والنوق.
مفكّ	ج- آت ومفاكّ. آلة تفكّ بها المسامير	ج- آت ومفاكّ؛ آلة من المعادن الصلبة؛ يدوية وكهربائية؛ تثبّت أو

	اللوّلبية ونحوها (محدثة).	تفكّ بها البراغي والمسامير اللّولبية (محدثة).

4- عدم الالتزام بمستويات التعريف من حيث حجم المعلومات والشروح التي يجب تقديمها؛ إذ يعتبر التعريف أهمّ نشاط تظهر فيه قدرة المعاجمي على توفير المعلومات الدقيقة والكافية، وهو من هذه الوجهة يطرح جملة من القضايا.

أ- ربط المدخل بأنظمة اللسان (الصوتي والإملائي والصرفي والاشتقاقي والنحوي).

ب-تحديد الدلالة المركزية والدلالات السياقية والاصطلاحية.

ج- الإشارة إلى مجالات الاستعمال ومستويات المفردات (فصيح، عامي، لهجي.)

د- استثمار السياقات الاستعمالية المعاصرة والشواهد المقيّدة من جميع العصور الأدبية.

هـ- التفصيل غير المسهب في شروح مداخل الأعلام والآثار.

و- إعطاء المعلومات الكاملة والكافية والمعاصرة أثناء تعريف المداخل. وذلك بالاستفادة من العلوم الحديثة (الفيزياء والنبات والحيوان والجراحة...) وما توصلت إليه من حقائق علمية تثري تعريف المداخل وتجدد مضامينها.

5- إهمال الترتيب الداخلي للدلالات، حيث هناك ثلاث طرائق – أو أكثر – مشهورة يمكن استخدام إحداها لترتيب الدلالات.

أ- الطريقة التاريخية التأثيلية وفيها يتم الانتقال من الدلالة الأقدم أو الأصـــل التـأثيلي للكلمـة ثم ينم التـدرج من الأقـدم إلى الحـديث فالمعاصر.

ب- الطريقة اللغوية الاصـطلاحية وفيها يتم الانتقال من الدلالة اللغوية العامة إلى الدلالة السياقية فالدلالة الاصطلاحية.

ج- طريقة الشـــهرة والمعاصـــرة وفيها يتمّ الانتقال من الدلالات الأكثر استعمالا أو شهرة آنيا إلى الدلالات الأقل استعمالا أو شهرة.

6- ترك الجانـب التـأثيلي والتـاريخي للألفـاظ والدلالات، فلا بدّ في أيّ معجم لغوي أصـيل من الاشـارة إلى أثل الكلمة واللســان الذي انحدرت عنه (أصـــيلة – دخيلة – معرّبة – معجّمة..). وكذا التاريخ لدلالاتها بالسنوات أو العصور.

7- قلة الصـور والرسـوم التوضـيحية، وعدم دقتها، فهناك مثلا عشـر صـــور يثبتها معجم لاروس الفرنســـي – أخذناها عشـــوائيا – لمداخل صـعبة التعريف هي (جرثومة – غواصـة – عظم الحوض – ملعب كرة السلة – علبة توزيع الكهرباء – علبة السرعة – المحرك – الفرامة – الخلية – النوتة الموسـيقية) لا يثبت لها المعجم الوسـيط أية صـورة أو رسـم توضـيحي (45)، ومن حيث نسـبة اثباتها؛ فإنها لا تتجاوز في المعجم الوسـيط مثلا، بالنسـبة إلى عدد مداخله (1,80/)، في مقابل معجم لاروس الصـغير للسـان الفرنسـي بـــ (4,25/). أما عن عدم دقتها فإن بالوسـيط مغالطات كبيرة حيث أن أكثر الصـور المثبتة عبارة عن رســوم تقريبية وبعضـــها يدلّ على مســـميات أخرى مثل المداخل

(الحرباء–القطاة – الكناري – الكوب – الضـــب – البلبل...) (46).
كما يتضح من اللوحة الآتية*/

ولا شـــكّ في أن هذه النقائص – وغيرها – التي وقفت دون تحقيق المعجم، العادي والحاسوبي – وبالتالي جعلت المستهلك العربي، طالبا أو باحثا يعزف عن اســتعماله ما دام لا يمدّه بما يحتاج إليه من ألفاظ حضــارية ومصــطلحات علمية وظيفة، وتعريفات شــاملة ودقيقة؛ وهي معلومات تؤســس لديه أوليات المعارف ومفاتيح العلوم – لم تعد اليوم حــاجزا أمــام تــأليف المعجم العربي الوظيفي المعــاصـــر (العــادي الحاسوبي)، القادر على استيعاب حضارة العصر ومواكبة مستجداته، وامداد الباحث العربي بكل ما يلبي حاجاته العلمية والثقافية، ولا ســيما وقد أثرت اللســـانيات الحديثة الدرس المعاجمي بنظريات وتقنيات وضوابط جديدة، ومهّدت طرائق الأعداد وسبل الإنجار.

الهوامش والتعليقات :

1- محمد مراياتي – الحاســوب في خدمة اللغة العربية. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق /م73/ ج3 يوليو 1997 –ص 506.

2- الشــادلي الفيتوري –اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراســات الوحدة العربية / بيروت 1984 / ص 159.

19- أنظر / أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة /ب – مصطفى الشويمي، بيروت، مؤسسة بدران للطباعة 1963، ص 57.

20- مجمع اللغة العربية / المعجم الوسيط .م.س.ص 13.

21- محمد المنجي الصيادي – التعريب وتنسيقه في الوطن العربي – بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1982 ص 250.

32- أنظر /

PETIT ROBERT –r/ R/A REY ET J/REY DEBOVE6 PARIE /LE ROBERT / / P * 48 (ALGEBRE)..

23- حسين نصار / المعجم العربي نشأته وتطوره – دار مصر للطباعة 1968ج2 ص 8

24- الشيخ أحمد رضا – معجم متن اللغة / بيروت دار مكتبة الحياة 1958 – ص 76

25- م.س. انظر هذه المواد في أبوابها.

29- مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. م.س. ص ص 13،

30- مجمع اللغة العربية / م.س. مادة (غرم).